كل امر ذي بال اي شأن يهتم به شرعا لا يبدؤ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم
وفي رواية بالحمد لله فهو اجذم اي مقطوع البركة بجعل الابتدا بالبسملة حقيقيا
وبالحمدلة اضافيا قريبا من الحقيقي بان يذكر الحمدلة عقب ذكر البسملة بناء على
ان الباء في بسم الله وفي بالحمد صلة يبدأ فان جعلت للاستعانة او الملابسة
فلا تعارض فقال اولا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ اي بكل اسم من اسمائه
الذات الواجب الوجود لا يشترك من غيره الموصوف بانه ابلغ في الرحمة اي
ارادة الانعام او نفس الانعام بجلائل النعم واصولها وما دقها وفضولها
فالرحيم في هذا المقام المنيف كالتتمة والرديف ابدا وقد صاحبا وملابسا
او مستعينا ثم قال ثانيا الْحَمْدُ لِلَّهِ محافظة على ما هو الاكمل في البداءة ولان اصل
البركة تحصل بالبداءة باحدهما بل وبغيرهما من كل ما هو ذكر الله تعالى مستكملا ما
دل عليه انه ليس المراد هنا بالبسملة والحمدلة خصوصهما بل كونهما ذكر الله تعالى
وهو قوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لا يفتتح بذكر الله فهو اجذم لا يقال
في هذا حمل المقيد على المطلق والمجاز انما هو عكسه لانا نقول ذلك فيما اذا ذكر مقيد
واحد ومطلق وهنا ذكر مقيدان بقيدين متنافيين ومطلق فحمل على ذلك
المطلق وقولنا هنا احترازا عما ورد فيه نوع مخصوص من الذكر كالتسمية في الوضوء
ثم لا يخفى ان اكمل الصادر من العباد لغة هو الوصف بالجميل اي بصفة الكمال
ولو زعم الحامد او المحمود بل او غيرهما على احتمال وان لم يكن اختياريا على
الجميل الاختياري حقيقة او حكما على جهة هي التعظيم بان لا يصدر ما ينافيه
وان لم يعتقد الحامد اتصاف المحمود بذلك الوصف حيث قصد به التعظيم

لا السخرية والمعنى اوجد جنس هذا الوصف وحقيقته او كل فرد من المختص والمملوك
او المستحق لواجب الوجود المستجمع لجميع المحامد وترك العاطف اشارة الى
استقلال كل ولم ينظر لما قيل ان بسم الله متعلق بالحمد لله فان الله تعالى لا يحمد
الا باسمائه عَلَىٰ في اوم جَمِيعِ الْأَحْوَالِ لكن في الحديث كان صلى الله عليه وسلم
اذا رأى ما يكرهه قال الحمد لله على كل حال واذا رأى ما يعجبه قال الحمد لله الذي
بنعمته تتم الصالحات وفي هذا كما لا يخفى بعده براعة الاستهلال وهي ان يكون
في الكلام المبتدا به اشارة الى ما سيق الكلام لاجله كقول ابي الطيب المتنبي
وهو سيف الدولة ممدوحه بشر وال مرض الحمد عوفي اذ عوفيت والكرم وزال عنك الى
اعدائك الالم وقول ابي تمام مهنيا بعض الخلفا بفتح البلاد وقد زعم اهل بعض
التنجيم انها لا تفتح في الوقت التي فتحت فيه السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب وقول بعضهم متعتبا بعض احبته من
باسياف هجرهم كلونا ما عليهم لو انهم كلمونا قال المحقق في المطول ومنه
ما يشار به في افتتاح الكتب الى الفن المصنف فيه ومن ذلك قول جار
الله الزمخشري في المفصل الحمد لله احمد على ان جعلني من علماء العربية انتهى ثم
عمل المصنف بقوله صلى الله عليه وسلم كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذما
فقال وَأَشْهَدُ اي اعترف واذعن أَنْ لَا إِلَٰهَ اي لا معبود بحق في الوجود إِلَّا اللَّهُ
بالرفع على البدلية من محل لا مع اسمها وهو الرفع بالابتدا او بالنصب على الاستثناء
او على البدلية من اسم لا لان لا لا تعمل في معرفة وَحْدَهُ اي حال كونه منفردا
عن المشابه والمماثل لَا شَرِيكَ لَهُ في شيء مما يتعلق بعلي الله وسني صفاته

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)